المحاضرة السابعة:

جماعة الرابطة القلمية

عناصر المحاضرة:

- تمهيد.

أولا: الرابطة القلمية.

1- التعريف بالرابطة القلمية.

2- مظاهر التجديد عند الرابطة القلمية.

ثانيا: كتاب الغربال لميخائيل نعيمة:

1- الشعر والشاعر عند ميخائيل نعيمة.

2- النقد والناقد عند ميخائيل نعيمة.

تمهيد:

يرجع قيام المدرسة المهجرية أو ما يعرف بأدباء المهجر إلى هجرة أفواج كبيرة من الشعراء والأدباء والمفكرين العرب، وبخاصة من سوريا ولبنان، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث نزلوا في كندا والولايات المتحدة ودول أمريكا الجنوبية كالبرازيل وفنزويلا والمكسيك، وقد عملوا على نقل اللغة العربية والأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة، وأنشأ الأدباء المهجريون أدبا يمثلهم ويعبر عن حياتهم وتجاربهم الجديدة في الغربة، وكان أدبهم هذا هو أدب مدرسة المهجر وهي من مدارس الأدب والنقد العربي الحديث[1].

وللأدب والنقد المهجريين أهمية كبيرة في ترسيخ معالم التجديد في الوطن العربي، ونقل الآداب من أمة إلى أخرى عن طريق الترجمة، وتأكيد مبدأ التأثر والتأثير بين الأدب العربي والغربي في العصر الحديث.

والرابطة القلمية هي أحد أطراف أدب المهجر الذي اتخذ من الغرب قطبا لإحداث التجديد في الأدب العربي ونقده.

[1]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دت، ص174.

أولا- الرابطة القلمية:

1- التعريف بالرابطة القلمية:

بدأت فكرة الرابطة القلمية عام 1916م إلا أنها تأسست رسميا عام 1920م في نيويورك (المهجر الشمالي)، على يد نخبة من الأدباء.

وذكر ميخائيل نعيمة أن الرابطة تأسست بعد جلستين، عُقدت أولاهما في منزل عبد المسيح حداد، مالك ورئيس تحرير جريدة السائح، بتاريخ 20 أفريل 1920م، وورد في محضر هذه الجلسة التي دونها نعيمة بيده على حد تأكيده، أن: "أحدهم* رأى أن تكون لأدباء المهجر رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم في سبيل اللغة العربية وآدابها، فقابلت الفكرة استحسان كل الأدباء الحاضرين، وهم :جبران، نسيب عريضة، وليم كاتسفليس، رشيد أيوب، عبد المسيح حداد، ندرة حداد، ميخائيل نعيمة، وأقروا بإجماع الأصوات مباشرة السعي لتحقيق هذا الفكر"[1].

وفي 28 من الشهر نفسه، عقدت الجلسة الثانية والحاسمة في منزل جبران بحضور الأدباء الذين حضروا الجلسة التمهيدية، إضافة إلى الأديب إلياس عطا الله، وتمت الموافقة على دستور الرابطة، وانتخب المؤسسون جبران عميدا للرابطة، وميخائيل نعيمة مستشارا، ووليم كاتسفليس خازنا، وكلفوا نعيمة مهمة تنظيم قانونها[2].

هكذا تأسست الرابطة القلمية في المهجر، وضمت أدباء جمعت بينهم الغربة، كما تميزوا بالذوق الفني والميول الأدبية والفكر المتقارب؛ إذ تميزوا عن غيرهم باتجاههم الفلسفي في الكتابة، وتأثرهم بالمذهب الرومانسي، كما جمعهم الهدف الواحد وهو بث روح التجديد وجعل التجربة الكتابية تنفتح على آفاق أوسع.

---

*- صاحب فكرة الرابطة وأول من دعا إلى تأسيسها عبد المسيح حداد (1890- 1963م) صاحب كتاب (حكايات المهجر)، وكما دعا إلى ذلك جبران خليل جبران.

[1]- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران 'حياته، موته، أدبه، فنه'، مطبعة لسان الحال، بيروت، لبنان، 1934م، ص171.

[2]- ينظر: ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران 'حياته، موته، أدبه، فنه'، ص172.

وقد أصدرت الرابطة مجموعة أدبية دورية باسمها (مجموعة الرابطة القلمية)، أسهم في تحريرها رشيد أيوب، وقد طبعت مجموعة الرابطة في نيويورك، ثم في بيروت[1].

كما كانت جريدة السائح لعبد المسيح حداد اللسان الناطق للرابطة والمنبر الذي خاطبوا القارئ من خلاله بنشر أعمالهم الإبداعية الموسومة بروح التجديد فيها، ولم يقتصر أثر الأفكار التجديدية التي دعا إليها شعراء وأدباء الرابطة على حدود القارئ العربي في المهجر بل تجاوزه ووصل صداها إلى المشرق العربي وذلك من خلال أعداد مجلة السائح العادية (العامة)؛ إذ كانت تصدر مرتين في الأسبوع، كما كانت تصدر سنويا في عدد خاص من تحرير أعضاء الرابطة أنفسهم[2].

إضافة إلى مجلة (الفنون) لنسيب عريضة، ومجلة (السمير) لإيليا أبي ماضي.

2- مظاهر التجديد عند الرابطة القلمية:

اتجه أعضاء الرابطة القلمية اتجاها رومانسيا؛ إذ اهتموا بقضية التأمل في الوجود والنفس الإنسانية والطبيعة وقيم الحياة.

وقد عبر ميخائيل نعيمة عن هذا التوجه الرومانسي بقوله: "الأدب الذي نعتبره هو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص برقة الحس ودقة الفكر، وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من تأثير"[3].

- ولذلك ثاروا على التقليد، ودعوا إلى الاهتمام بالمضامين الإنسانية والتعبير الوجداني دون تعقيد، يقول ميخائيل نعيمة في ذلك: "إن هذه الروح الجديدة التي ترمي إلى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد، إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني (...)، كما أن الروح التي تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء في

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، ص177.

[2]- ينظر: حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص 209.

[3]- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، ص172.

المعنى والمبنى هي في عرفنا سوس ينخر جسم أدبنا ولغتنا، وإن لم تقاوم ستؤدي بها إلى حيث لا نهوض ولا تجدد"[1].

ولكن دعوتهم إلى التحرر من التقليد لم تكن ثورة ضد آداب العرب ولغتهم، بل كانت تسير في سبيل اللغة العربية وآدابها مع الدعوة إلى الابتكار وترك الجمود، يظهر ذلك في قول ميخائيل نعيمة: "بيد أننا إذا ما عملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة، لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين؛ فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر إلهام لكثيرين غدا وبعد الغد"[2]؛ فهم يسعون إلى المحافظة على مقومات الأدب واللغة العربية، مع التغيير في المضامين والابتكار في الأساليب بما يخدم العصر ويعبر عنه.

– فعلى مستوى اللغة دعوا إلى التحرر من الأساليب الكلاسيكية، لكنهم اهتموا بجودة اللغة وقدرتها على التصوير وثرائها في تقديم الأدوات البيانية، مع محافظتهم على مميزات اللغة العربية من قوة وإحكام في الصياغة، وسعوا إلى تحميل المفردات والتراكيب دلالات جديدة توافق طبيعة العصر؛ فجبران خليل جبران مثلا كان كثير الإعجاب والحفظ للشعر الجاهلي، مع دعوته للابتكار والتحرر اللفظي والبياني في الشعر، لتأثره بالأدب الأمريكي.

– واهتموا في ذلك بالوحدة العضوية في القصيدة؛ وهي وحدة المعنى والعاطفة والخيال.

– وقد تركزت مضامين أدبهم في: الحرية، والحنين إلى الوطن، ووصف الطبيعة، والتأمل الوجودي، والألم والحزن والنزعة الإنسانية.

– أما على مستوى النقد الأدبي فأبرز من يمثله في الرابطة القلمية هو الناقد 'ميخائيل نعيمة' بآرائه النقدية حول وظيفة الأدب ومهمة الناقد ومنهجه، ويظهر ذلك في مؤلفه النقدي القيم (الغربال).

[1]– ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، ص173.

[2]– المرجع نفسه، ص173.

ثانيا- كتاب الغربال لميخائيل نعيمة:

ولد الأديب والناقد اللبناني ميخائيل نعيمة في جبل صنين لبنان سنة 1889م، نشأ نعيمة في مكان ولادته، ودرس المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدرسة الجمعية الفلسطينية في بلدته بسكنتا، سافر بعد ذلك في عام 1905م لإتمام دراسته في أوكرانيا حيث أمضى فيها خمس سنوات في جامعة بولتافيا.

اطلع خلال هذه الفترة على الأدب الروسي وأتقن اللغة الروسية، وفي العام 1911م انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإتمام دراسة الحقوق فيها.

بعد أن أنهى ميخائيل نعيمة دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية لم يعد إلى وطنه لبنان، بل استقر فيها ما يقارب العشرين عاما وحصل خلالها على الجنسية الأمريكية، كما انضم إلى أدباء المهجر وأسهم في تأسيس الرابطة القلمية.

في العام 1932م عاد ميخائيل نعيمة إلى لبنان واستقر في بلدة الشخروب والتي جذبه إليها طبيعتها الساحرة وحبه للتأمل، وبقي فيها حتى عام وفاته 1988م.

أما عن تجربة ميخائيل نعيمة الأدبية فقد كانت تجربة غنية جدا، وكان واحدا من أهم الأدباء العرب الذين أسهموا في النهضة الأدبية والفكرية العربية في النصف الأول من القرن العشرين، وقد تنوعت الكتابات التي قدمها ميخائيل نعيمة بين القصص والروايات والأشعار والمقالات والمسرح والنقد؛ تجلت فيها آراؤه وفكره العقائدي والسياسي والفلسفي والاجتماعي، منها: ديوان همس الجفون، ومسرحية آباء وأبناء، وكتاب الغربال[1].

ويعد كتاب الغربال الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1923م، من الكتب المهمة في النقد العربي الحديث، وهو مجموعة مقالات نشرها الناقد في الصحف وبعض مقدمات أعماله،

[1]- ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص376 وما بعدها.

ويقوم كتاب الغربال على بيان مفهوم الغربلة التي توازي عملية النقد، وقد تناول نعيمة في كتابه عديد القضايا النقدية أهمها النقد والناقد.

1- الشعر والشاعر عند ميخائيل نعيمة:

يتفق ميخائيل نعيمة في رؤيته للشعر مع رواد التجديد رومانسيي الاتجاه، في تعبيره عن الوجدان وعلاقته بالنفس، والتعبير بصدق عن عواطفها ومكنوناتها الداخلية، يقول نعيمة: "إن أول ما أبحث عنه في كل ما يقع تحت نظري باسم الشعر هو نسمة الحياة، والذي أعنيه بنسمة الحياة ليس إلا انعكاس بعض ما في داخلي من عوامل الوجود في الكلام المنظوم الذي أطالعه، فإن عثرت فيه على مثل تلك النسمة أيقنت أنه شعر (...) ومتى أيقنت أن فيما أطالعه شعرا ميزته من سواه؛ أولا باتساع مداه: بعمقه، وعلوه، وانفراج أرجائه، وبعد ذلك... دقة تركيبه، وحلاوة رنته، وطلاوة ألوانه وما أشبه، وآخر ما أعيره انتباها هو الأوزان والقوانين العروضية والقواعد اللغوية؛ فالشعر الذي ينزل بفكري إلى أغوار تحت أغوار، ويعلو به إلى سموات تلوح من ورائها سموات، ويفتح لخيالي آفاقا خلفها آفاق، ويفسح لعاطفتي مدى يجرها إلى أمداء، هو الشعر الذي تستأنس به روحي وتتفتح له براعم الحياة داخلي"[1].

من خلال هذا النص نلاحظ بأن ميخائيل نعيمة يركز في مفهومه للشعر على تعبيره عن الحياة بصورة عامة، ثم يعرض جملة مكونات ترتبط بالشكل (الوزن والقافية واللغة والصور والأساليب)، والمضمون (في اتصاله بالحياة، وتعبيره عن وجدان الشاعر وصدق تجربته بمكوناتها من لغة ومعنى وعاطفة وخيال)، في تحديد الشعر ينبغي توفرها كاملة ليحكم على الشعر بشعريته من عدمها، وهي ما تتحقق لدى القارئ من خلال ما تحدثه من أثر وانفعال استجابة للتجربة.

لذلك رأى نعيمة أن النقاد في تعريفهم للشعر قد عنوا بالنظر في مضمونه ومقوماته الشكلية، فالشعر عنده غير محدود، ولو ألقينا نظرة على تعاريفه لوجدناها تدور حول نقطتين جوهريتين:

[1]- ميخائيل نعيمة، الغربال، دار نوفل، بيروت، لبنان، ط15، 1991م، ص129.

قسم منها ينظر إلى الشعر من جهة تركيبه وتنسيق عباراته وأوزانه وقوافيه، والآخر يرى في الشعر قوة حيوية، قوة مبدعة، قوة مندفعة إلى الأمام، والشعر في الحقيقة ليس الأول وحده ولا الثاني فقط، بل هو كلاهما[1].

وفي ذلك يرى نعيمة أن الشعر لا بد أن يعبر عن المكون الذاتي للشاعر بعناصره وهي الوجدان، والعاطفة والخيال والبعد عن التكلف ما يعبر عن صدق التجربة.

فالشاعر عنده هو النبي والفيلسوف والمصور والموسيقي والكاهن الذي يستطيع أن ينقل الحياة بكل ما فيها من صور مليئة بالحيوية، تجعل القارئ يستجيب لها وكأنه يعيشها، فهو "نبي لأنه يرى بعينه مالا يراه كل البشر، ومصور لأنه يقدر أم يكسب ما يراه ويسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام، وموسيقي لأنه يسمع أصواتا متوازنة (...) وأخيرا الشاعر كاهن لأنه يخدم إلها هو الحقيقة والجمال"[2]، وفي ذلك تأكيد على مبادئ الرومانسية في النظر إلى المبدع في تعبيره عن الصلة بين النفس والحياة من خلال إبداعه.

2- النقد والناقد عند ميخائل نعيمة:

النقد الأدبي عند ميخائيل نعيمة هو "تقويم العواطف والأحاسيس والأفكار، والتمييز بين جيدها ورديئها وجميلها وقبيحها"[3]؛ فالنقد عنده يكمن في التمييز بين الأعمال الأدبية، وقد شبه العملية النقدية بعملية الغربلة التي تهدف إلى فصل الجيد من الرديء عبر ثقوب الغربال.

وقد رأى نعيمة أن الناقد في هذه العملية ليس مقوما ومرتبا وممحصا فحسب، وإنما هو مبدع ومولّد ومرشد.

---

[1]- ميخائيل نعيمة، الغربال، ص76.

[2]- المصدر نفسه، 84، 85.

[3]- المصدر نفسه، ص13.

- **مبدع** لأنه يرفع الستر عن جوهر الأثر المنقود، ويكشفه للآخرين ولصاحب الأثر نفسه"، فنعيمة يرى أن الأديب حينما ينتج نصه لا يهتم بما سيكتب بعده من دراسات ونقد، فالمهم عنده أن يسد حاجته الروحية، والناقد يكون سببا في خلود هذا النص من عدمه.

- **مولّد**؛ فالناقد يبدع كما يبدع الأديب، لأنه عندما يقوم بوضع المقاييس الأدبية يكشف نفسه للآخرين، وفي الواقع يولد أفكار جديدة "فهو إذا استحسن أمرا لا يستحسنه لأنه حسن في ذاته، بل لأنه ينطبق على آرائه في الحسن، وكذلك إذا استهجن أمرا، فلعدم انطباق ذلك الأمر على مقاييسه الفنية[1].

- **مرشد**؛ لأنه يطلع الأدباء على محاسن عملهم ومساوئه، فالناقد يقيم آثار الأديب ويحدد قيمتها الفنية، وهو الذي يرفع من شأنها أو يحط منه.

ويؤكد ميخائيل نعيمة على ضرورة الفصل بين العمل الأدبي ومؤلفه في العملية النقدية، ويرى أن هذه هي مهنة الناقد الحقيقية، يقول: "إن مهنة الناقد الغربلة، لكنها ليست غربلة الناس، بل غربلة ما يدوّنه قسم من الناس من أفكار وشعور وميول، وما يدونّه الناس من الأفكار والشعور والميول هو ما تعودنا أن ندعوه أدبا، فمهنة الناقد، إذن هي غربلة الآثار الأدبية لا غربلة أصحابها (...) والناقد الذي لا يميز بين شخصية المنقود وبين آثاره الكتابية ليس أهلا لأن يكون من حاملي الغربال"[2]، إذ تظهر نظرته الموضوعية إلى العمل الأدبي من خلال ذلك، ولكنه ينزع نزعة رومانسية ذاتية، ويحدد منهجه بالانطباعية.

فغاية النقد، في نظر نعيمة، تنحصر في تسجيل انطباعات الناقد، يقول: "إن لكل ناقد غربال، لكل موازينه ومقاييسه، وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا في السماء ولا في الأرض، ولا قوة تدعمها وتظهرها قيمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه، وقوة الناقد هي ما يبطن به سطوره من الإخلاص في النية والمحبة لمهنته، والغيرة على موضوعه،

[1]- ينظر: ميخائيل نعيمة، الغربال، ص17 وما بعدها.

[2]- المصدر نفسه، ص13.

ودقة الذوق، ورقة الشعور، وتيقظ الفكر، وما أوتيه بعد ذلك من مقدرة البيان لإيصال ما يقوله إلى عقل القارئ وقلبه"[1].

ثم يقول: "هناك خلة لا يكون الناقد ناقدا إذا تجرد منها، وهي قوة التمييز الفطرية؛ تلك القوة التي توجد لنفسها قواعد، ولا توجدها القواعد، والتي تبتدع لنفسها مقاييس وموازين ولا تبتدعها المقاييس والموازين، فالناقد الذي ينقد حسب القواعد التي وضعها سواه لا ينفع نفسه ولا منقوده ولا الأدب بشيء؛ إذ لو كانت لنا قواعد ثابتة لتمييز الجميل من الشنيع، والصحيح من الفاسد، لما كان من حاجة بنا إلى النقد والنقاد"[2].

فهو يركز على القوة الفطرية لدى الناقد التي تمكنه من وضع مقاييسه الخاصة لتقييم العمل الأدبي، وقد سمى محمد مندور منهج ميخائيل نعيمة (بالمنهج التأثري الذاتي)[3]، الذي يدل على الاتجاه الرومانسي له باعتباره يركز على ذاتية الناقد.

والمنهج التأثري أو الانطباعي هو الذي يقوم على تقديم انطباعات الناقد اتجاه الأثر الأدبي، وأساسه الذوق الذي يعكس ذاتية الناقد.

إذ شككت الانطباعية في جميع القواعد النقدية، ورفضت أن يحكم على الأدب بالقواعد والنظريات، كما رفضت الوظائف المألوفة للنقد مثل تفسير العمل الأدبي أو تقويمه بإصدار الحكم عليه، ومهمة الناقد عندها هي تسجيل ووصف تلك الأفكار والصور والأحوال النفسية والانفعالات التي يثيرها فيه العمل الأدبي[4]، وهو ما أشار إليه نعيمة من خلال حديثه عن شخصية الناقد ومقاييسه الذاتية في عملية الغربلة.

---

[1]– ميخائيل نعيمة، الغربال، ص16.

[2]– المصدر نفسه، ص17.

[3]– محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997م، ص26.

[4]– ينظر: فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث 'منطلقات وتطبيقات'، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ط1، 1989م، ص173.

وقد حدد نعيمة مقاييس أدبية أربعة ارتبطت بهذا المنهج، وقد وضع هذه المقاييس المطلقة حسب حاجات الناس النفسية؛ لأن الأدب في نظره أمر روحي، وهذه الحاجات المشتركة والثابتة بين الناس على اختلاف أزمانهم وبيئاتهم، وهي[1]:

- حاجة الإنسان إلى الإفصاح عما ينتابنا من الحالات النفسية والروحية؛ من رجاء ويأس، وفوز وإخفاق، وإيمان وشك، وحب وكره...

- حاجة الإنسان إلى نور يهتدي به في الحياة، وهو نور الحقيقة: حقيقة ما في نفسه، وحقيقة ما في العالم.
- حاجة الروح إلى الجميل في كل شيء.
- حاجة الروح إلى الموسيقى.

وبناء على هذه الحاجات وضع نعيمة مقاييس أدبية، ودعا إلى استخدامها، ورأى بأنها المقاييس الثابتة التي يجب أن نقيس بها الأدب.

ويرى نعيمة أن العمل الأدبي لا يبلغ درجة الأدبية إلا إذا تميز باستجابته لهذه المقاييس الأربعة؛ بحيث "تكون قيمته بمقدار ما يسد من بعض هذه الحاجات أو كلها، ويكون أثمنه أجلاه بيانا، وأغناه حقيقة، وأطلاه رونقا، وأشجاه وقعا"[2].

والملاحظ أن ميخائيل نعيمة يؤكد على النقد الذاتي (الانطباعي) من جهة، ويؤكد على حاجة الأدب إلى مقاييس ثابتة مطلقة من جهة أخرى، ولكنه جمع بين الأمرين بقوله إنه يمكن أن تكون هذه المقاييس ثابتة لدى الناس جميعا في كل زمان ومكان، لكن مدى إدراكها يتوقف على ذات الفرد.

[1]– ميخائيل نعيمة، الغربال، ص70.

[2]– المصدر نفسه، ص71.